أسلوب التَّنزُّل في القرآن الكريم

(تقرير توحيد الألوهية أنموذجاً)

Theological denominationalism
"An Analytical Study"

إعداد

الباحثة/ أفنان عبد الباسط عبد الرحيم محبوب

قسم الشريعة والدراسات الإسلامية- كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة الملك عبد العزيز بجدة- المملكة العربية السعودية

أ.د/ صباح سعيد العرفي

الأستاذ المشارك بقسم الشريعة والدراسات الإسلامية

بكلية الآداب والعلوم

الإنسانية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة

المملكة العربية السعودية

أسلوب التَّنزُّل في القرآن الكريم
(تقرير توحيد الألوهية أنموذجًا)

أفنان عبد الباسط عبد الرحيم محبوب
قسم الشريعة والدراسات الإسلامية- كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الملك عبد العزيز بجدة- المملكة العربية السعودية
البريد الإلكتروني : af.ab.mahboob@gmail.com
صباح سعيد العرفي
قسم الشريعة والدراسات الإسلامية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة- المملكة العربية السعودية

الملخص:
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. وبعد: فإن هذه الدراسة (أسلوب التَّنزُّل في القرآن الكريم " تقرير توحيد الألوهية أنموذجًا") قد اتبعت فيها المنهج الاستقرائي الاستنباطي الوصفي، وذلك بتتبع أسلوب التَّنزل في القرآن الكريم واستقراء الآيات الواردة في توحيد الألوهية، واستنباط أسلوب التَّنزل منه، ووصفه وبيان طريقته مع الخصم، وقد احتوت الدراسة على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة وفهرس للمصادر. أما **المقدمة** فقد اشتملت على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وخطة البحث، وحدوده وهيكله. **والمبحث الأول:** فهو في التعريف بأسلوب التّنزل، **والمبحث الثاني:** في مشروعية التنزل في الحوار والجدل مع المخالف. **المبحث الثالث:** أسلوب التّنزل في تقرير توحيد الألوهية في القرآن الكريم، وقد أتبعتها بخاتمة بينت فيها أهم **النتائج:** أن دراسة أسلوب التّنزل كفيل بالرد على كل مشكك في أصول الدين، ومن أهم **التوصيات:** دراسة هذا الأسلوب من الناحية البلاغية لبيان الإعجاز اللغوي في القرآن، والاستفادة من هذا الأسلوب في الحوار مع الخصوم وفي المناظرات حتى يرجعوا للحق من تلقاء أنفسهم.

الكلمات المفتاحية: أسلوب التَّنزُّل ، القرآن الكريم، تقرير توحيد الألوهية.

The approach of revelation in the Holy Qur'an
(The Report of Unity of Worship as an Example)

Afnan Abdel Basset Abdel Rahim Mahboob
Department of Sharia and Islamic Studies - College of Arts and Human Sciences, King Abdulaziz University in Jeddah -
Kingdom of Saudi Arabia
Email: af.ab.mahboob@gmail.com
Good morning Al-Arfi
Department of Sharia and Islamic Studies, College of Arts and Human Sciences, King Abdulaziz University in Jeddah -
Kingdom of Saudi Arabia

Abstract:
In The Name of Allah and Prayers and peace be upon the Allah' Messenger. Underlings: This study (The approach of revelation in the Holy Qur'an "The Report of Unity of Worship as an Example") has followed the inductive, deductive and descriptive approach, by tracing the approach of revelation in the Holy Qur'an and extrapolating the verses contained in the Unity of Worship, deducing the approach of revelation from it, describing it and clarifying its method with the opponent. The study contained a preamble, three chapters, a conclusion, and an index of sources. The preamble contained the importance of the topic, the reasons for its selection, previous studies, the research plan, its frontiers and its structure. The First Chapter: is in the definition of the approach of revelation, The Second Chapter: the legitimacy of the revelation in dialogue and controversy with the opponent. The third Chapter, namely the approach of revelation to Report of Unity of Worship in the Holy Qur'an , was followed up by a conclusion in which the most important findings: that the studying the approach of revelation ensures the response to every skeptic about the foundations of religion. One of the most important recommendations: is to study rhetorically the linguistic miracles of the Holy Qur'an and to make use of this method of dialogue with opponents and debate so that they may return to the truth of their own initiative.

Key words: The approach of revelation, Holy Qur'an, The Report of Unity of Worship.

المقدمة:

الحمد لله الذي جعل لنا القرآن هادياً ودليلاً، ومرشداً للحق لمن كان عن سبيله ضليلاً، والصّلاة والسّلام على نبينا محمد عليه أفضل الصّلوات وأزكى التّسليم ... أمّا بعد:

فإنّ مدارسة كتاب الله وتعلمّه وتعليمه من أعظم ما يشتغل به المسلم، والبحث عَمَّا في القرآن الكريم من معارف وعلوم جليلة من أجلّ القربات، وأنفع الطاعات في الحياة وبعد الممات، وهو خير ما صرفت فيه أوقات العباد وأعمارهم، واشتغلت به مجالسهم وحلقاتهم، وجفّت فيه محابرهم، وملئت به صحفهم، قال ﷺ: «وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ »[(١)].

وقد استعمل القرآن الكريم أساليب متنوعةً من أساليب الحوار والجدل والمناظرة في مخاطبة المخالفين، ومن أهم هذه الأساليب هو أسلوب التَّنزُّل؛ الذي يقتضي مجاراة الخصم والنُّزول لمستوى حديثه، بترك الأمر على ما زعم؛ ثم التدرّج معه حتى يرجع للحق من ذات نفسه، فمن الحكمة مخاطبة الناس بقدر عقولهم وبما يفهمون.

وتجد الباحثة في كتاب الله أمثلة كثيرة للتَّنزل في سياق الآيات الكريمة، في قضايا متعددة، من أهمها الألوهية، إذ لا يُشكل على أحد أن الغاية من الخلق عبادة الله، وقد رأيت أنها تستحق الجمع والدراسة، وذلك

-(١) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، حديث (٢٦٩٩)، ٤/٢٠٧٤.

باستقراء الآيات ذات العلاقة، وتحليل طريقة إقناع المخالفين، وإبلاغ الحجة على المعترضين؛ وهذا من أعظم مقاصد القرآن الكريم.

لهذا اخترت أن تكون دراستي بعنوان: (أسلوب التَّنزُّل في القرآن الكريم "تقرير توحيد الألوهية أنموذجًا")، فأسأل الله تعالى التوفيق والسداد.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الموضوع من خلال ما يأتي:

١-ارتباطه بكتاب الله تعالى، وشرف العلم بشرف متعلقة، وهو متعلق بتفسير كتاب الله تعالى.

٢-عدم وجود دراسة حول أسلوب التّنزُّل في القرآن الكريم، مع أهمية هذا الموضوع، وحاجته إلى تأصيل وتطبيق من خلال الآيات القرآنية.

أسباب اختيار الموضوع:

١- خدمة كتاب الله عزّ وجل والاهتمام بعلومه.

٢- إثراء المكتبة الإسلامية، ومكتبة الدراسات القرآنية خصوصاً بهذه الدراسة المهمة في بابها.

٣- رغبة الباحثة في دراسة هذا الموضوع، والوقوف على أقوال المفسرين في الآيات المتعلقة ودراستها دراسة تفسيرية، بما ينمي الملكة التفسيرية، ويقوي المهارة البحثية لدى الباحثة.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتتبع لم أقف على دراسة مختصة في "أسلوب التَّنزُّل في القرآن الكريم "، وقد وقفت على بعض الدراسات التي عنيت بالحوار والجدل بوجه عام في القرآن الكريم، ومن ذلك ما يأتي:

١- "منهج القرآن الكريم في إقامة الدليل والحجة" للباحث: مجاهد محمود أحمد ناصر، رسالة ماجستير في أصول الدين، في جامعة النجاح الوطنية في فلسطين عام ٢٠٠٣م.

٢- "الحوار في القرآن الكريم" للباحث: معن محمود عثمان ضمرة، رسالة ماجستير في كلية أصول الدين في جامعة النجاح الوطنية في فلسطين، عام ٢٠٠٥م.

والفرق بين تلك الدراسات وبين دراستي من عدة أوجه، أبرزها: أن تلك الدراسات تتناول الحوار والجدل في القرآن الكريم بشكل عام، ولم تتناول موضوع أسلوب التَّنزُّل في القرآن الكريم، عدا الدراسة الأولى فقد تكلمت فيه ببضعة أسطر لا تتجاوز الصفحة والنصف، وبهذا فإن الفرق بينها وبين دراستي شاسع جداً؛ إذ إن موضوع الدراسة يتعلق بدراسة أسلوب التَّنزُّل في القرآن الكريم.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

١- بيان معنى التّنزل ونظائره، والتعرف على أساليبه في القرآن الكريم.

٢- التأكيد على صحة القضايا والحجج التي رجحها القرآن الكريم من خلال أسلوب التَّنزُّل.

٣- محاورة من حاد عن الصواب من الملحدين وأصحاب الفكر الضال في العصر الحاضر، والتنزل معهم في الخطاب لإحقاق الحق.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

تجيب هذه الدراسة على ما يأتي:

١- ما معنى أسلوب التَّنزُّل في القرآن الكريم؟

٢- ما هي مشروعية الحوار والجدل مع المخالف في القرآن الكريم؟

٣- ما هي الآيات الكريمة الواردة في أسلوب التَّنزُّل في القرآن الكريم في آيات الألوهية؟

حدود الدراسة:

اعتمدت في دراسة أسلوب التَّنزُّل في القرآن الكريم على المعنى في استقراء الآيات إذ لا يوجد لفظ يختص به، واستنبطت الآيات المرتبطة بهذا الأسلوب.

خطة الدِّراسة:

قسَّمت الدِّراسة إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وفهرس.

- **المقدمة:** وقد ذكرت فيها أهميّة الدّراسة، وأسباب اختيار الدراسة ، والدراسات السابقة وأهداف الدراسة، ومشكلة الدراسة وتساؤلاتها ، وحدود الدراسة، والمنهج المتّبع فيها.
- **المبحث الأول:** تعريف أسلوب التَّنزل لغة واصطلاحاً.
- **المبحث الثاني:** مشروعية التنزل في الحوار والجدل مع الصديق والمخالف بغية الوصول للحق والحقيقة.
- **المبحث الثالث:** أسلوب التنزل في تقرير توحيد الألوهية في القرآن الكريم.
- **الخاتمة:** وفيها أهم النتائج والتوصيات.

منهجية الدراسة:

اتبعت في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي الاستنباطي الوصفي، وذلك باتباع الخطوات التالية:

١- تتبع وجمع الآيات القرآنية المتعلقة بالموضوع، وترتيبها حسب موضوعاتها كما في خطة الدراسة.

٢- إبراز أسلوب التَّنزُّل في الآيات الكريمة، وتوثيق أقوال المفسرين في المسائل المتعلقة بأسلوب التّنزل في الآيات.

٣- تحليل مضامين الآيات الكريمة، واستنباط الدروس الإيمانية الواردة فيها.

المبحث الأول: تعريف أسلوب التَّنزل لغة واصطلاحاً:

أولاً: تعريف الأسلوب:

الأسلوب في اللغة:

تدور معاني الأسلوب في اللغة على عدة معانٍ، منها ما يأتي:

- الطرِيْقُ المستوي وَمِنْه أَخذ فِي أساليب من القَوْل: أَي ضُروب مِنْهُ. وكلُّ طريقٍ ممتدٍّ، فَهُوَ أُسلوبٌ. وَهُوَ عَلَى أُسْلُوبٍ مِنْ أَسَالِيبِ الْقَوْمِ أَيْ: عَلَى طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِهِمْ.
- المَذْهَبُ والوجهُ: يُقَال: هُمْ فِي أُسْلُوب سُوْءٍ. ويُجْمَعُ عَلَى أَسَالِيب. وَقد سَلَكَ أُسْلُوبَه: طَرِيقَتَه. وكلامُه عَلَى أَسَالِيبَ حَسَنة.
- الفَنُّ: يُقَال: أَخَذَ فُلَانٌ فِي أَسَالِيبَ من القَوْل، أَي أَفَانِين مِنْهُ. والأساليب: الفنون المختلفة [1].

ومن خلال عرض المعاني السابقة؛ فإن أقربها من المراد بالأسلوب في هذا البحث الطريق، والفن، فأسلوب القرآن في الحجاج أي: طرقه وضروبه، و فنونه المختلفة.

الأسلوب في الاصطلاح:

ومعناه في الاصطلاح قريب من معنى الطريق والفن الذي سبق ذكرهما.

والأساليب: هي الفنون المختلفة، والأسلوب بالضم هو الفن والطريق، وفلان على أسلوب من أساليب القوم أي على طريق من طرقهم [1]، وهو

-(١) انظر: الأزدي، جمهرة اللغة (١/ ٣٤١)، ابن عباد، المحيط في اللغة (٢/ ٢٦٣)، ابن سيده، المخصص (٣/ ٣٠٩) ، ابن منظور، لسان العرب (١/ ٤٧٣) ، الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (١/ ٢٨٤) ، الزبيدي، تاج العروس (٣/ ٧٢).

المعنى المَصُوغُ في ألفاظ مؤلَّفة على طريقة أقربَ لنيل الهدف المقصود من الكلام، وأعمق في نفوس سامعيه [٢].

وقد جاء تعريفه في كتب علوم القرآن، فقد عرّفه الجرجاني بأنه: الضرب من النظم، والطريقة فيه[٣]، وعرفه الزرقاني بأنه: الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه أو هو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه او هو طابع الكلام أو فنه الذي انفرد به المتكلم كذلك.

ومعنى أسلوب القرآن: هو طريقته التي انفرد بها في اختيار ألفاظه وتأليف كلامه، ولا يخفى على الجميع بأن للقرآن أسلوبه الخاص به، إذأن لكل كلام أسلوباً خاصاً به فكيف بكلام الله عزّوجل[٤].

ثانياً: تعريف التّنزل:

التَّنزل لغة:

التنزل في اللغة مأخوذ من "نَزَلَ"، وهو النزول مِنْ عُلْوٍ إِلَى سُفْلٍ، يَنْزِلُ نُزُولًا، وَيَتَعَدَّى بِالْحَرْفِ وَالْهَمْزَةِ وَالتَّضْعِيفِ فَيُقَالُ: نَزَلْتُ بِهِ وَأَنْزَلْتُهُ وَنَزَّلْتُهُ وَاسْتَنْزَلْتُهُ بِمَعْنَى أَنْزَلْتُهُ، والنزول في اللغة يأتي على معان:

- النزول في المرتبة: يقال: استنزل فلان، أي حُطَّ عن مرتبته.
- والنُّزُول: الْحُلُولُ، وَقَدْ نَزَلَهم ونَزَلَ عَلَيْهِمْ ونَزَلَ بِهِمْ يَنْزل نُزُولًا ومَنْزَلًا ومَنْزِلًا.

=

- (١) هو تعريف اختاره المناوي، انظر: التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ١٩٧).
- (٢) انظر: الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص: ٤٤) .
- (٣) انظر: دلائل الإعجاز، ٤٦٩/١.
- (٤) انظر الزرقاني، مناهل العرفان، ٣٠٣/٢.

- والمُنْزَلُ، بضم الميم وفتح الزاي: الإنزالُ. تقول: أنزِلْني منزلاً مُباركاً. والمنزَلُ بفتح الميم والزاي: النزول، وهو الحلولُ. تقول نزَلْتُ نزولاً ومَنزلاً.
- والتنزيلُ: الترتيب.
- والتنَزُّلُ: النُزول في مُهلة.
- والنازِلة: الشديدة من شدائد الدَهر تنزِلُ بالناسِ(١).

التنزل في الاصطلاح:

لم أقف على تعريف للتنزل في الاصطلاح، إلا ما جاء في معجم اللغة العربية: "تنزَّل الشَّيءُ: نزل في مُهْلة وتدرُّج "تنزَّلت درجةُ حرارته، قال تعالى: { تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ} [سورة القدر، الآية:٤]. تنزَّل عن حقِّه: تنازَل عنه؛ تركه"(٢).

ومن خلال ما ذُكر من التعريفات اللغوية للتَّنزل فيمكن تعريفه بأنه: النزول بمستوى الحديث مع الخصم، وترك الأمر على ما زعم حتى يستبين الحق بنفسه، أو: تنازل الشخص عن حقه سواء كان حسياً أو معنوياً، والتنزل في الحوار والجدل من قبيل التنازل المعنوي، فهو تنازل الشخص عن بعض الحجج لصالح خصمه.

المبحث الثاني: مشروعية التنزل في الحوار والجدل مع المخالف:

إن الناظر في آيات القرآن الكريم وصفحاته يجد أنه أعطى أهمية كبيرة لمحاورة الخصوم ومناظرتهم، وهو منهج عميق للدعوة إلى الإسلام، وتقرير العقيدة السليمة، ودفع شبه الخصوم، وكسر شوكتهم.

-(١) انظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٥/ ١٨٢٩)، ابن منظور، لسان العرب (١١/ ٦٥٦) ، الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢/ ٦٠٠).

-(٢) مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ٢١٩٦).

وقد تنوع حوار القرآن الكريم بين محاورة لأهل الكتاب، وجدال المشركين، ونقل الحوار والجدال بين الرسل وأقوامهم، بل بين رب العزة وبين إبليس لعنه الله؛ ولهذا فإن مشروعية الحوار والجدل مع المخالف مبثوث في آيات كثيرة، ومن ذلك ما يأتي:

- قوله تعالى: { قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}[سورة المجادلة، الآية: ١].
- وقوله تعالى: { قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا}[سورة الكهف، الآية: ٣٧].
- وقوله تعالى: { ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ }[سورة النحل، الآية:١٢٥].

ويعدُّ أسلوب التنزل من أهم أساليب الحوار والجدل مع الصديق والمخالف بغية الوصول للحق والحقيقة التي استعملها القرآن الكريم، وقد دلَّ على مشروعيته استعمال القرآن له في كثير من المواضع، ومنها على سبيل المثال:

- قوله تعالى: { أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ }[سورة هود، الآية: ١٣].

قال ابن عاشور في هذه الآية: "وهذا من إرخاء العنان والتسليم الجدلي، فالمماثلة في قوله: {مثله} هي المماثلة في بلاغة الكلام وفصاحته لا في سداد معانيه" [(١)].

-(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٢/ ٢٠).

- قوله تعالى: { إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ. وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ}[سورة الأنفال، الآية: ٢٢، ٢٣].

ذكر السعدي في تفسير هذه الآية: { وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ } هذا على سبيل الفرض والتقدير { لَتَوَلَّوا } عن الطاعة { وَّهُم مُّعْرِضُونَ } لا يلتفتون إلى الحق بوجه من الوجوه، وفي هذا دليل واضح على أن الله تعالى لا يمنع الإيمان والخير إلا لمن لا يثمر عنده ولا خير فيه، فلله الحمد والمنة على حكمته [١].

- قوله تعالى: { إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ }[سورة فاطر، الآية: ١٤].

ومما فسر به السعدي الآية { إِن تَدْعُوهُمْ } لا يسمعوكم؛ لأنهم ما بين ملائكة وجمادات وأموات مشغولون بالطاعة، { وَلَوْ سَمِعُوا } على وجه الفرض والتقدير { مَا اسْتَجَابُوا }؛ لأنهم لا يملكون لأنفسهم شيئًا فضلا عن أن يملكوه لغيرهم[٢] .

وأورد ابن عاشور في تفسيرها: " ولو سمعوا – على سبيل الفرض والتقدير – ومسايرة لمعتقداتكم وادعاءاتكم فإنها لا تستجيب، وليس لها أي رد أو قبول، وهذا استدلال سنده المشاهدة، فطالما دعوا الأصنام ولم

- (١) انظر: تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣١٨).
- (٢) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٦٨٧).

تستجب، ولم يتحصلوا منها على ما طلبوا مع حضورها أمامهم ، فعدم ردها واستجابتها أكبر دليل على عدم سماعها، وأنها لا تغني شيئًا" [1].

المبحث الثالث: أسلوب التنزل في تقرير توحيد الألوهية في القرآن الكريم:

وفي هذا المبحث خمس آيات:

الآية الأولى:

قوله تعالى: { قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا . سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا}[سورة الإسراء، الآية:٤٢- ٤٣].

من أعظم وأهم القضايا التي عُني بها القرآن الكريم قضية الألوهية، فهي المقصد الأول من خلق الإنس والجن، كما قال تعالى: { وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ }[سورة الذاريات، الآية:٥٦]، وقد تناول القرآن الكريم قضية الألوهية من جانبين: جانب إثباتها مباشرة، وجانب إبطال ما يضادها.

وفي هذه الآية الكريمة أبطل الله تعالى اعتقاد المشركين وجود شريك لله تعالى، يعبدونه ليقربهم إلى الله عزَّ وجل، فأبطل لهم فعلهم، وبين فساد معتقدهم، فلو كانت هذه الآلهة تستحق العبادة وتُقرِّب إلى الله لتصرفت كتصرف الملوك، وسعت إلى منازعة الملك، أو لاتخذت سبيلاً للوصول إلي الله والتقرب منه، فهم أحوج ما يكونون لذلك، وهذا أسلوب عقلي من أساليب القرآن الكريم في إبطال العقائد الباطلة، إذ حاورهم حواراً عقلياً يبدد خرافاتهم، ويعيد إليهم رشدهم لو كانوا يعقلون.

-(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٢/ ٢٨٣).ا

أولاً: أسلوب التنزل في الآية الكريمة:

يظهر أسلوب التنزل في الآية الكريمة في قول الله تعالى: { قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا}[سورة الإسراء، الآية:٤٢]، فإن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: يا محمد. قل للمشركين الذين اتخذوا آلهة مع الله لو كانت تلك المعبودات آلهة حقيقية لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا، وهذا فيه تنزل منه سبحانه وتعالى في الحوار والجدل معهم، فإن تلك المعبودات ليست بآلهة أصلاً، ولكن على فرض أنها آلهة فإن العادة مطردة في أن المشتركين في الملك ونحوه يحاول كل واحد منهما أن ينزع الملك، وينفرد به دون صاحبه، فإذا لم تفعل آلهتكم ذلك، فهذا دليل على بطلان كل من جعلتموه آلهة مع الله ، ولا يقف ذلك على عجزهم فقط؛ بل إنكم جميعاً في قبضة قدرته سبحانه، أنتم وما ادعيتموه آلهة، لا تستطيعون السبيل إلى الخروج عن عبوديته، فضلاً عن ابتغاء السبيل إلى مغالبته(١).

وقد بيّن ابن عطية كيف أبطل الله تعالى هذا التشريك بأسلوب التَّنزل والافتراض: " فلو فرضنا أن أحدهما أراد أن يُسكِّن جسمًا، وأراد الآخر تحريكه، ومعلوم استحالة تنفيذ الإرادتين في نفس الوقت، ويستحيل كذلك عدم تنفيذ الإرادتين جميعهما، فهنا يكون الجسم لا ساكنًا ولا متحركًا، فإن نفذت إرادة أحدهما دون الآخر فهذا دليل على أنه إله وغيره ليس بآلهة لعدم نفاذ أمره وحكمه، فإن قيل: لنفرض عدم اختلافهما، قلنا: اختلافهما غير ممتنع عقلاً فهو جائز، وكل جائز فهو في حكم الواقع" (٢).

-(١) انظر: الطوفي، الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية (ص: ٣٩٤)

-(٢) انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٤٥٩). بتصرف بسيط.

وقال الرازي: " إن المراد من قوله: إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا هو أنا لو فرضنا وجود آلهة مع الله تعالى لغلب بعضهم بعضاً، وحاصله يرجع إلى دليل التمانع [١] " [٢].

ويقرر الطوفي وجه الاستدلال بهذه الآية على التوحيد من وجهين:

أحدهما: لو كان معه إله غيره لطلب ذلك الغير سبيلاً إلى مغالبة ذي العرش على الملك وانفراده بالإلهية دونه، واللازم باطل؛ فالملزوم كذلك.

الثاني: لو كان معه غيره لطلب ذلك الغير السبيل إلى الوصول إلى رتبة ذي العرش أو إلى الشفاعة إليه فيما يريد، على العادة في بلوغ النظير رتبة نظيره والشفاعة إليه في بعض أموره، واللازم باطل، والمعول عليه هو الوجه الأول" [٣].

وذكر السعدي أن من الأدلة على ذلك، هذا الدليل العقلي الذي ذكره في قوله: { قُلْ } يا محمد للمشركين الذين اتخذوا مع الله إله آخر: { لَوْ كَانَ

- (١) معنى دليل التمانع أن يقال: إذا تعددت الآلهة؛ فإن الاختلاف بينهم ضروري، كما أن التعاون بينهم يقتضي عجز كل منهم عند الانفراد، والعاجز لا يصلح إلها، فإما أن يكونوا متكافئين في القدرة، لا يستطيع كل منهما أن يقهر الآخرين، فيذهب كل منهم بما خلق، ويختص بملكه؛ وإما أن يكون أحدهم أقوى من الآخر، فيغلبه، وينفرد دونه بالخلق والتدبير، فلا بد إذا مع تعدد الآلهة من أحد هذين الأمرين: إما ذهاب كل بما خلق، أو علو بعضهم على بعض. وذهاب كل بما خلق غير واقع؛ لأنه يقتضي التنافر والانفصال بين أجزاء العالم، مع أن المشاهدة تثبت أن العالم كله كجسم واحد مترابط الأجزاء، فلا يمكن أن يكون إلا أثراً لإله واحد، وعلو بعضهم على بعض يقتضي أن يكون الإله هو العالي وحده. انظر: هراس، شرح العقيدة الواسطية (ص: ١٣٥).
- (٢) الرازي، مفاتيح الغيب (٢٠/ ٣٤٦).
- (٣) الطوفي، الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية (ص: ٣٩٤) مختصراً.

مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ } أي: كما يزعمون ويفترون { إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا } أي: لاتخذوا سبيلا بالتقرب إلى الله وعبادته [١].

وقال ابن عاشور: " ووجه الاستدلال أنهم جعلوهم آلهة وعبدوهم ليكونوا لهم شفعاء عند الله، فلو كانوا آلهة كما وصفوا فلا مفر لهم من الخضوع إلى الله، وفي هذا دليل واضح على فساد قولهم، إذ إن الإلهية تقتضي الاكتفاء وعدم الاحتياج، فكأنَّهم قالوا بأنهم عباد لله مكرمون، وهذا كاف لكل فطين لأن يظهر فساد القول بإلهيتهم"[٢].

ثانياً: ما تضمنته الآية من المسائل:

اختلف المفسرون في المراد بقوله تعالى: { إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا } على قولين:

- القول الأول: لابتغوا سبيلا إلى رضاه، لأنهم دونه، وهو قول قتادة [٣].
- القول الثاني: أن المراد لطلبوا سبيلاً إلى ذي العرش لممانعته ومغالبته وإزالة ملكه، وإلى هذا ذهب مقاتل [٤]، والواحدي [٥]، والسمعاني [٦]، والرازي[٧]، وغيرهم[٨].

- (١) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٥٨) ، وقال بنحوه: ابن عرفة، تفسير ابن عرفة (٣/ ٦٧) النيسابوري، غرائب القرآن (٤/ ٣٥٣) الثعالبي، الجواهر الحسان (٣/ ٤٧٦).
- (٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٥/ ١١٢). بتصرف بسيط.
- (٣) انظر: الصنعاني، تفسير عبد الرزاق (٢/ ٣٠٠) الطبري، جامع البيان (١٧/ ٤٥٤).
- (٤) مقاتل، تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٣٢).
- (٥) الواحدي، الوجيز (ص: ٦٣٥).
- (٦) السمعاني، تفسير القرآن (٣/ ٢٤٣).
- (٧) الرازي، مفاتيح الغيب (٢٠/ ٣٤٦).
- (٨) انظر: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٢٦) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٤٤٧).

قال السمعاني: "وقوله: { إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا } فيه قولان: أحدهما: إذا لطلبوا إلى ذي العرش سبيلا بالتقرب إليه، والقول الآخر وهو الأصح: إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا بالمفازة وطلب الملك والمغالبة، وهذا مثله مثل قول الله تعالى: { لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} [سورة الأنبياء، الآية:٢٢] "(١).

وقد ذهب ابن عاشور إلى أن كلا القولين قد يكونا بمعنى واحد، فيمكن حمل الآية على المعنيين: فالمعنى الأول: وهو أن المراد بالسبيل سبيل الوصول إلى ذي العرش ، وصول تقرب وخضوع واستعطاف، والمعنى: لطلبوا ما يوصلهم إلى مرضاته سبحانه، وهو كقوله تعالى: {يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ} [سورة الإسراء، الآية:٥٧].

والمعنى الثاني: وهو أن المراد بالسبيل سبيل السعي إلى القهر والغلبة، والمعنى: لطلبوا مغالبة ذي العرش سبحانه، وهو كقوله تعالى: { مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ } [سورة المؤمنون، الآية:٩١] (٢).

الآية الثانية:

قوله تعالى: { لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ } [سورة الأنبياء، الآية:٢٢].

- (١) انظر: السمعاني، تفسير القرآن (٣/ ٢٤٣). بتصرف يسير.
- (٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٥/ ١١١).

يبطل سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة دعاوى المشركين في تعدد الآلهة، وذلك بإقامة الأدلة والبراهين العقلية التي تثبت فساد تصوراتهم وأقوالهم؛ تنزيهاً له سبحانه عن وجود شريكٍ له في ملكه وحكمه.

والاستدلال في هذه الآية لا يقف عند نفي الشريك لله فقط؛ بل تثبت الآية استحالة ذلك، وهو أبعد وأعمق من مجرد النفي، إذ أبطل سبحانه وتعالى دعوى التشريك حيث قال: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ}، وهذا خطاب عقلي عميق، إذ لو وجد إله أو آلهة مع الله كما يدعي المشركون لكان تصرفهم كتصرف الآلهة، فتأمر وتنهى، وتحيي وتميت، وتعطي وتمنع، وتقدر على كل شيء، ولو كانت كذلك لوجب الاختلاف والتنازع بينها؛ لأن الوجود لا يمكن أن تتنازعه قدرتان أو أكثر، فأحدهما يريد أمراً والآخر أمراً آخر، وذاك يريد أن يحيي والآخر يميت، والأول يعطي والآخر يمنع، وهكذا، فإما أن يمضي مشيئة كليهما، وإما أن تغلب إحداهما الأخرى، فإن مضت المشيئتان معاً فسد العالم، إذ لا يمكن أن تجتمع قدرتان متضادتان، أحدهما يريد الموت والآخر الحياة، والاحتمال الثاني أن تغلب إحداهما الأخرى، إذ المناعة لا بدّ منها كما قال تعالى: {وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ}، فإذا غلبت أحدهما الآخر فالمغلوب ليس بإله، إذ الإله لا يُغلب، فلم يبق إلا أن نثبت للعالم إلهاً واحداً لا شريك له، سبحانه وتعالى عما يصفون وعما يشركون.

قال القرطبي: "والمعنى: لو كان فيهما آلهة غير الله لفسد الكون، ولفسد التدبير؛ لأن العجز يثبت لأحدهما إن أراد أحدهما شيئًا وأراد الآخر

ضده، وأورد في معنى { لَفَسَدَتَا } أي: هلكتا بوقوع التنازع والاختلاف بين الشركاء"[١].

أولاً: أسلوب التنزل في الآية الكريمة:

يظهر أسلوب التنزل في الآية الكريمة من قوله تعالى: { لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لفسدتا }، وبيان ذلك أن الله تعالى يجادل المشركين الذي يثبتون له شريكاً في ألوهيته وربوبيته، ويتنزَّل معهم فيما ادعوه ويقول لهم: لو فرض أن ما ادعيتموه صحيح، وأنه يوجد شريك مع الله تعالى لفسدت السماوات والأرض وهلكت هما ومن فيهما، إذ لا يصلح أن يكون في العالم إلا إله واحد، وإذا ثبت أن العالم لم يفسد، وأنه يمشي وفق حكمة بالغة، وتقدير محكم عُلم أنه ليس له إلا إله واحد، وهو الله سبحانه وتعالى.

ودلالة الآية من وجهين:

- الأول: أنه ليس للعالم إلا إله واحد، هو من يتولى خلقه وتدبير شؤونه.
- الثاني: أن هذا الإله الواحد لا يكون إلا الله سبحانه؛ لقوله سبحانه: {إِلَّا اللَّهَ}، فلا يوجد غيره معه مطلقًا [٢].

قال ابن عطية: " واقتضاب القول في هذا أن الإلهين لو فرضا فوقع بينهما الاختلاف في تحريك جرم وتسكينه فمحال أن تتم الإرادتان، ومحال أن لا تتم جميعاً، وإذا تمت الواحدة كان صاحب الأخرى عاجزاً، وهذا ليس بإله"[٣].

- (١) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٢٧٩). بتصرف بسيط.
- (٢) انظر: الزمخشري، الكشاف (٣/ ١١٠).
- (٣) ابن عطية، المحرر الوجيز (٤/ ٧٨).

وقال الطيبي: "يعني: لو فُرض ذلك وقُدر كما يُقدرُ المحالاتُ لانقلبت تلك الفائدة– التي ذكرناها في قوله تعالى: { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ } [سورة الأنبياء، الآية:١٦]"(١).

وقال أبو السعود: "أي لو كان في السماوات والأرض آلهة غير الله كما هو اعتقادهم الباطل { لَفَسَدَتَا } أي: لبطلتا بما فيهما جميعاً، وحيث انتفى التالي علم انتفاء المقدم قطعاً، بيان الملازمة أن الإلهية مستلزمة للقدرة على الاستبداد بالتصرف فيهما على الإطلاق تغييراً وتبديلاً وإيجاداً وإعداماً وإحياءً وإماتةً، فبقاؤهما على ما هما عليه إما بتأثير كل منها وهو محال؛ لاستحالة وقوع المعلول المعين بعلل متعددة، وإما بتأثير واحد منها فالبواقي بمعزل من الإلهية قطعاً"(٢).

ثانياً: ما تضمنته الآية من المسائل:

هل وقع الاستدلال بهذه الآية بدليل التمانع أم لا ؟

ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية مما يستدل بها على دليل التمانع(٣)، منهم الواحدي، والبغوي، وابن عطية، وابن الجوزي، والنسفي.

وبيّن الطوفي أن هذا هو الدليل المشهور على التوحيد، ويسمى دليل التمانع، وتقريره أنه لو كان مع الله إله غيره لفسد العالم، واللازم باطل فالملزوم كذلك. بيان الملازمة: أنه لو كان معه غيره، فليفرض أنهما اختلفا

-(١) الطيبي، فتوح الغيب (١٠/ ٣١٨).

-(٢) أبو السعود، إرشاد العقل السليم (٦/ ٦١). وانظر" السمرقندي، بحر العلوم (٢/ ٤٢٣) الماوردي، النكت والعيون (٣/ ٤٤٢) السمعاني، تفسير القرآن (٣/ ٣٧٤).

-(٣) انظر: الواحدي، البسيط (١٥/ ٤٨) البغوي، معالم التنزيل (٣/ ٢٨٥) ابن عطية، المحرر الوجيز (٤/ ٧٨) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (٣/ ١٨٨) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ٣٩٩).

في الإرادة بأن أراد أحدهما تحريك جسم أو إحياؤه، والاخر تسكينه أو إماتته، فإن تم مرادهما، اجتمع النقيضان أو انتفى مرادهما، ارتفع النقيضان، أو تم مراد أحدهما فقط فهو الإله الحق دون العاجز، فالإله الحق واحد[1].

وخالف في ذلك بعض العلماء، وقالوا: إن الآية لا تدل على دليل التمانع، فإن الآية تقرر توحيد الألوهية لا الربوبية؛ لأن المشركين إنما أشركوا في الألوهية، وهم مقرون بالربوبية كما قال تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الْحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } [سورة لقمان، الآية:٢٥]، وقوله تعالى: { قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ للهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } [سورة المؤمنون، الآية: ٨٤ . ٨٥].

ويرى ابن أبي العزّ أن كثيراً من أهل النظر يزعمون أن دليل التمانع هو معنى قوله تعالى: { لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا }؛ لاعتقادهم أن توحيد الربوبية قد قرره توحيد الألوهية، بل هو ما دعت إليه الرسل، وأنزل الله تبارك وتعالى به الكتب السماوية، بل التوحيد الذي دعا إليه الرسل هو توحيد الألوهية وعبادة الله وحده لا شريك له، إذ هو متضمن لتوحيد الربوبية، ومعلوم إقرار المشركين منذ القدم بتوحيد الربوبية وإنكارهم الألوهية [2].

ومثله شيخ الإسلام ابن تيمية حيث يقول: "هذه الآية ليس المقصود بها ما يقوله من يقوله من أهل الكلام، من ذكر دليل التمانع الدال على وحدانية الرب تعالى، فإن التمانع يمنع وجود المفعول، لا يوجب فساده بعد

- (١) انظر: الطوفي، الإشارات الإلهية (ص: ٤٣٦) بتصرف يسير.
- (٢) انظر: ابن أبي العز، شرح الطحاوية (١/ ٢٨).

وجوده، وذلك يذكر في الأسباب والبدايات التي تجري مجرى العلل الفاعلات، والثاني يذكر في الحكم والنهايات التي تذكر في العلل التي هي الغايات، كما في قوله: { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } [سورة الفاتحة، الآية:٥] فقدم الغاية المقصودة على الوسيلة الموصلة"[١].

الآية الثالثة:

قوله تعالى: { لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ} [سورة الأنبياء، الآية:٩٩].

يستمر القرآن الكريم في مناقشة وإبطال ما اعتقده المشركون من وجود آلهة غير الله سبحانه وتعالى تستحق العبادة، وطلب النفع والضر مع الله سبحانه، وفي هذا الموضوع يحاور القرآن الكريم المشركين مخاطباً عقولهم إن كانت تعقل، ويخبرهم بأن معبوداتهم من الأصنام والأوثان وغيرها ليست بآلهة، بدليل أنها لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً، فضلاً عن أنها تملك لكم ذلك، ولو كانت آلهة لأنقذت نفسها وأنقذتكم من نار جهنم، ومن كانت هذه حاله كان أبعد ما يكون عن الألوهية، فإن الإله الحقيقي من يستطيع أن ينقذكم وينقذ نفسه، لا كما هو حال آلهتكم المزعومة.

ولهذا قال سبحانه في الآية التي قبلها: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ}، قال تعالى: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ} [سورة الأنبياء، الآية: ٩٨]، أي: إنكم أيها المشركون وأصنامكم التي تعبدونها { حَصَبُ جَهَنَّمَ } والحصب فيه ثلاثة أقوال:

- أحدها: أنه وقود جهنم، وهو قول ابن عباس رضي الله عنه.

-(١) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٣٨٨).

- الثاني: أنه حطب جهنم، وهو قول علي بن أبي طالب وعائشة رضي الله عنهم.
- الثالث: ما أُلقي فيها، وأصله من الحَصْباء، وهو الحصى، أي أنهم يرمون فيها كما يرمى بالحصباء حتى كأن جهنم تحصب بهم[1].

أولاً: أسلوب التنزل في الآية الكريمة:

يظهر أسلوب التنزل في الآية الكريمة من قوله تعالى: { لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا }، والمعنى أن الله تعالى يخاطب المشركين بأن هذه الآلهة التي تعبدونها من دون الله ليست بآلهة، واستعمل معهم أسلوب التنزل فقال: لو كانت هذه آلهة وهي ليست بآلهة، ولكن تنزلاً معكم فإنها لا تَرِد على النار؛ لأن الآلهة تنقذ نفسها، وتملك النفع والضر، وإذا كانت معبوداتكم هذه لم تنقذ نفسها فكيف يمكنها إنقاذكم!

ولهذا بين لهم سبحانه وتعالى بالدليل والحجة خطأ ما يعتقدون بقوله: { لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا } فلو كان هؤلاء الأصنام والأوثان آلهة كما تزعمون ما وردوا النار ولا دخلوها، وهاهم قد وردوها، وصاروا حطبها، فامتنع كونهم آلهة[2].

قال البيضاوي: "لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها لأن المؤاخذ بالعذاب لا يكون إلهاً. وكل فيها خالدون لا خلاص لهم عنها"[3].

- (١) انظر: تفسير الماوردي = النكت والعيون (٣/ ٤٧٢)، ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٢١٤).
- (٢) انظر: الطبري، جامع البيان (١٨/ ٥٣٧) البغوي، معالم التنزيل (٣/ ٣١٨) الشوكاني، فتح القدير (٣/ ٥٠٦).
- (٣) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ٦١).

وقال ابن كثير: "{لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا} يعني: لو كانت هذه الأصنام والأنداد التي اتخذتموها من دون الله آلهة صحيحة لما وردوا النار، ولما دخلوها، {وكل فيها خالدون} أي: العابدون ومعبوداتهم، كلهم فيها خالدون"(١).

وقال النيسابوري: "ثم ألزمهم الحجة بقوله لَوْ كانَ هؤُلاءِ المعبودون آلِهَةً في الحقيقة ما وَرَدُوها، لكنهم واردوها للخبر الصادق الذي يتنبه لصدقه من يتأمل في إعجازه، فينتج أن هؤلاء ليسوا بآلهة وأنها لا تستحق تعظيما أصلاً"(٢).

ثانياً: ما تضمنته الآية من مسائل:

المسألة الأولى: اختلف المفسرون في المراد بقوله تعالى: {لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا} على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن المراد الأصنام التي كانوا بعبدونها، والمعنى: أنه لو كانت هذه الأصنام آلهة ما دخلت النار.

القول الثاني: أن المراد عابدين الأصنام، والمعنى: أنه لو كانت هذه الأصنام التي تعبدونها آلهة لمنعت عنكم دخول النار.

القول الثالث: أن المراد الأصنام وعابدوها، كلهم في النار، وهو الصواب بدليل قوله تعالى في ختام الآية: {لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٥/ ٣٧٧).

(٢) النيسابوري، غرائب القرآن (٥/ ٥٥).

وَكُـلٌّ فِيهَـا خَالِـدُونَ } [سورة الأنبياء، الآية:٩٩] أي: العابد والمعبود(١).

المسألة الثانية: اتفق المفسرون على أن المراد بالورود في قوله تعالى: { لَوْ كَانَ هَـؤُلَاءِ آلِهَـةً مَـا وَرَدُوهَـا } هو الدخول، وليس مجرد المرور، وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: للورود في القرآن أربعة مواضع يعني به الدخول:

{وَإِنْ مِـنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَـا كَـانَ عَـلَى رَبِّـكَ حَـتْمًا مَقْضِـيًّا } [سورة مريم، الآية:٧١] يعنى: داخلها.

{يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ } [سورة هود، الاية:٩٨] يعني: فأدخلهم.

{ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَـبُ جَهَـنَّمَ أَنْـتُمْ لَهَـا وَارِدُونَ } [سورة الأنبياء، الآية:٩٨] يعني: داخلون.

{ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَـا وَرَدُوهَـا وَكُـلٌّ فِيهَـا خَالِـدُونَ } [سورة الأنبياء، الآية:٩٩] يعني: ما دخلوها(٢).

المسألة الثالثة: قرن الله سبحانه تعالى في هاتين الآيتين بين المشركين وآلهتهم فقال: { إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِـنْ دُونِ اللَّهِ حَصَـبُ جَهَـنَّمَ

- (١) انظر: الطبري، جامع البيان (١٨/ ٥٣٧) الواحدي، البسيط (١٥/ ٢٠٩) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٢١٤).
- (٢) انظر: مقاتل، تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٣٥) الواحدي، البسيط (١٤/ ٢٩٦) ابن عطية، المحرر الوجيز (٤/ ١٠١) الشوكاني، فتح القدير (٣/ ٥٠٦).

أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ . لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ } [سورة الأنبياء:٩٨. ٩٩].

وقد تلمس بعض المفسرين الحكمة من أن الله تعالى قرنهم بآلهتهم، وقد ذكروا عدة حِكم، منها:

- أن هذا مما يزيدهم غماً وحسرة وندماً؛ لأن هذا العذاب الذي هم فيه إنما وقع بسبب آلهتهم التي عبدوها، وكلما نظروا إليهم ازدادوا عذاباً، فالنظر إلى وجه العدو من العذاب.
- أن المشركين كانوا يعتقدون أن تشفع لهم آلهتهم في دفع العذاب يوم القيامة، فكان الأمر مختلفاً.
- أن إلقاء آلهتهم في النار يمثل تبكيتاً واستهزاءً بهم وبعبادتهم لها[(١)].

الآية الرابعة:

قوله تعالى: { أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ } [سورة ص، الآية:١٠].

هذه الشبهة من الشبه التي أوردها المشركون واعترضوا بها، وهي أن محمداً صلى الله عليه وسلم لما كان مساوياً لغيره في الذات والصفات والخلقة الظاهرة والأخلاق الباطنة فكيف يعقل أن يختص بهذه الدرجة العالية والمنزلة الشريفة وعي النبوة؟ وهذا هو المراد بقولهم: { أَؤُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا } (سورة ص، الآية: ٨)، وهو استفهام على سبيل الإنكار، وهو كقولهم: { وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ } [سورة الزخرف، الآية: ٣١].

-(١) انظر: الزمخشري، الكشاف (٣/ ١٣٦) الرازي، مفاتيح الغيب (٢٢/ ١٨٧) الشربيني، السراج المنير (٢/ ٥٣١).

الحقيقة أن هذه الشبهة قد سبق وأن قالها قوم صالح لبيهم عليه السلام إذ قالوا: قال تعالى: { أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ } [سورة القمر، الآية: ٢٥].

وقد ردَّ عليهم سبحانه وتعالى بأن هذه من شأن الله تعالى، فهو المالك لكل شيء، والمتصرف في ملكه كيف يشاء، وهو المُدبر لكل شيء، فمن ذلك قوله: {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} [سورة الزخرف، الآية:٣٢]، فالتفضيل والاصطفاء قسمة من الله سبحانه، كما قال تعالى: { اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ }[سورة الحج، الآية: ٧٥].

ثم تهكَّم سبحانه بهم ودعاهم إن كانوا ذوي قدرة وتدبير، ولهم ملك السماوات والأرض أن يرتقوا في الأسباب، وهذا من إثبات عجزهم، والتحقير من شأنهم، حيث ادعوا شيئا هو من خصائص الرب سبحانه وتعالى(١).

أولاً: أسلوب التنزل في الآية الكريمة:

يظهر أسلوب التنزل في الآية الكريمة من قوله تعالى: { أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ }، وبيانه أن المشركين لما اعترضوا على الله تعالى في اختيار رسله وأنبيائه، ردَّ عليهم سبحانه وتعالى بأن ذلك من خصائص الله سبحانه، فهو المالك المتصرف في ملكه، فإن

-(١) انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٦/ ٣٦٩).

ادعى المشركون أن لهم ملك السماوات والأرض وليس لهم ذلك، ولكن تنزلاً فليرتقوا في الأسباب[١].

قال الزمخشري: "وإن كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف في قسمة الرحمة، وكانت عندهم الحكمة التي يميزون بها بين من هو حقيق بإيتاء النبوّة دون من لا تحق له { فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ } فليصعدوا في المعارج والطرق التي يتوصل بها إلى العرش، حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم وملكوت الله، وينزلوا الوحى إلى من يختارون ويستصوبون" [٢].

وقال الرازي: "فالمعنى أنهم إن ادعوا أن لهم ملك السماوات والأرض فعند هذا يقال: لهم ارتقوا في الأسباب واصعدوا في المعارج التي يتوصل بها إلى العرش حتى يرتقوا عليه ويدبروا أمر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحي على من يختارون"[٣].

وبيّن ابن الجوزي: أن المقصود ليست بأيديهم، وليس لهم ملك أي شيء، ولا السماوات والأرض، فإن ادعوا شيئاً من ذلك فليرتقوا في الأسباب [٤].

وذكر البيضاوي في بيان معنى هذه الآية: {أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا} ، أنه لما أنكر عليهم التصرف في نبوته لأنه ليس عندهم خزائن رحمته التي لا نهاية لها، أتبع ذلك بأنه ليس لهم مدخل في

-(١) انظر: الطبري، جامع البيان (٢١/ ١٥٦) البغوي، معالم التنزيل (٤/ ٥٥) ابن عطية، المحرر الوجيز (٤/ ٤٩٥) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/ ١٤٦) أبو السعود، إرشاد العقل السليم (٧/ ٢١٦).

-(٢) الزمخشري، الكشاف (٤/ ٧٤).

-(٣) الرازي، مفاتيح الغيب (٢٦/ ٣٧٠).

-(٤) انظر: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٥٦١).

أمر هذا العالم الذي هو جزء يسير من خزائنه فكيف لهم ان يتصرفوا فيه. و قوله: { فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ } جواب شرط محذوف أي: إن كان لهم ملك السماوات والأرض، فليصعدوا في المعارج التي يتوصل بها إلى العرش حتى يدبروا أمر العلم ويتصرفوا فيه، فينزلوا الوحي على من يروه مناسباً في نظرهم، وذلك في غاية التهكم والسخرية بهم [1].

ثانياً: ما تضمنته الآية من مسائل:

اختلف المفسرون في المراد بالأسباب في قوله تعالى: { فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ } على أقوال:

- القول الأول: أن المراد بها طرق السماء وأبوابها، وهو مروي عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة.
- القول الثاني: أن المراد فليعلوا في أسباب القوة والمنعة إن كان لهم ذلك كما زعموا، وهو قول أبي عبيدة.
- القول الثالث: أن الأسباب السماوات نفسها، أي: فليصعدوا سماء سماء، أو إلى السماء السابعة وهو قول الضحاك.
- القول الرابع: أن المراد فليصعدوا في الأسباب التي توصلهم إلى السماء وهو قول الزجاج.
- القول الخامس: أن المراد فليرتقوا في الفضل والدين وهو قول السدي[2].

-(١) انظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٢٥).

-(٢) انظر: مجاهد، تفسير مجاهد (ص: ٥٧٢) الطبري، جامع البيان (٢١/ ١٥٦) الماوردي، النكت والعيون (٥/ ٧٩) السمعاني، تفسير القرآن (٤/ ٤٢٧) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٥٦١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ١٥٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٧/ ٥٦).

وجميع الأقوال لا يعارض بعضها البعض، وهذا من قبيل التنوع لا الاختلاف.

الآية الخامسة:

قوله تعالى: { هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } [سورة لقمان، الآية:١١].

لا تزال قضية الألوهية حاضرة في كثير من آيات القرآن الكريم، فهي القضية المحورية التي من شأنها بعث الله – تعالى– الأنبياء وأرسل الرسل، ولذا فلا غرابة أن يتناولها القرآن الكريم في كثير من الآيات والسور.

وفي هذه الآيات يعدد الله سبحانه وتعالى شيئاً من مخلوقاته فيقول: { خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ } [سورة لقمان، الآية:١٠]، ثم يخبر تعالى أن هذه المخلوقات كلها هو من خلقها وأوجدها فيقول: { هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ }، وهو خطاب استهزاء وتهكم بالمشركين الذين يعلمون أن الله تعالى هو الخالق الرازق ثم يعبدون آلهة أخرى، فإن كانت هذه الأصنام والأوثان التي تعبدونها آلهة فأروني ماذا خلقوا، وأين هي مخلوقاتهم؟ فإن لم تكن خالقة كيف تعبدونها من دون الله الذي خلقكم وخلق كل المخلوقات؟ هذا هو عين الضلال والعمى كما قال سبحانه: { بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } أي: ضلال بين واضح، والمراد بالظالمين هنا: المشركون، الذين وضعوا العبادة في غير موضعها[١].

-(١) انظر: ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب (١٥/ ٤٤١) أبو السعود، إرشاد العقل السليم (٧/ ٧٠).

أسلوب التنزل في الآية الكريمة:

يظهر أسلوب التنزل في الآية الكريمة من قوله تعالى: { فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ }، بيان ذلك أن الله تبارك وتعالى بعد أن عدد للمشركين بعض مخلوقاته، والتي هم مقرون بأن الله تعالى وحده الذي خلقها، أراد بعد ذلك سبحانه أن يبين لهم بطلان عبادتهم لتلك الأصنام والأوثان، ومن المعلوم أن هذه الأصنام لا تخلق، ولكن تنزلاً معهم قال لهم: إن كانت هذه الأصنام آلهة تستحق العبادة من دون الله فأروني خلقهم؛ لأن الإله الخالق هو من يستحق العبادة وحده، ومن لا يخلق فهو مخلوق وليس بإله.

قال الطبري: "قال تعالى هذا خلق الله الذي له ألوهية كل شيء، وملك كل شيء، وعبادة كل الخلق، الذي لا تصلح العبادة لغيره، ولا تنبغي لشيء سواه، فأروني أيها المشركون في عبادتكم إياه من دونه من الأوثان والآلهة، أي شيء خلق الذين من دونه من أصنامكم وآلهتكم، حتى استحقت عليكم العبادة، فعبدتموها من دونه؟"(١) كما استحق ذلك عليكم خالقكم وخالقه هذه الأشياء التي عددتها عليكم.

وقال النسفي: "{ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ } يعني آلهتهم، فقد بكّتهم بأن هذه الأشياء العظيمة مما خلقه الله، فأروني بما استوجبت آلهتكم عندكم العبادة ، وقد أضرب عن تبكيتهم إلى تسجيل تورطهم في الضلال"(٢).

وقال الطوفي: "استدلال على عدم إلهيتهم بعدم كونهن خالقين، وتقريره هذه آلهتكم لا تخلق، أو لا شيء من آلهتكم بخالق، والإله الحق

- (١) انظر: الطبري، جامع البيان (٢٠/ ١٣٣). بتصرف يسير.
- (٢) انظر: النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ٧١٣). بتصرف يسير.

خالق، فلا شيء من آلهتكم بإله حق، وهذا يقتضي أن الخلق والإبداع من لوازم الإله وخواصه"[١].

وقال النيسابوري: "{ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ } وهم الآلهة بزعمهم. وهذا أمر تعجيز وتبكيت فلهذا سجل عليهم بالضلال المبين"[٢].

من الدروس الإيمانية المستفادة من هذا المبحث ما يأتي:

- أن مذهبية التقسيم الثلاثية للتوحيد وأن هناك من اشركوا في الألوهية وهم مقرون بالربوبية لا يعنى ذلك قطعا أنهم آمنو بالرب، لأن هناك آيات قرآنية تثبت الشرك مع أقراهم واعترافهم، قال تعالى حكاية عن يوسف – عليه السلام– (يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) وقال تعالى: (وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ)، وقال تعالى:(اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) ، وعليه فإن تقسيم التوحيد بالطريقة المذكورة بعيد عن منهج الأزهر ودراسته.
- يعدُّ توحيد الألوهية المحور الرئيس، والقضية الكبرى التي من أجلها بعث الله – تعالى– الرسل، وأنزل الكتب، وهذا ظاهر في كثير من آيات القرآن الكريم؛ لأن انحراف المشركين إنما أتى من هذا الباب، وقليل جداً من انحرف في الربوبية، مع إقراره في قلبه بأن الرب هو الله تعالى كما قال تعالى عن فرعون وقومه: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} [سورة النمل ، الآية:١٤].

-(١) الطوفي، الإشارات الإلهية (ص: ٤٩٩).

-(٢) النيسابوري، غرائب القرآن (٥/ ٤٢٤).

- من أهم الأمور التي ينبغي لأهل العلم والصلاح العناية بها هو سلوك مسلك القرآن الكريم في إثبات الألوهية وتقريرها، وإبطال حجج المشركين ودحضها؛ وذلك لأن أسلوب القرآن في غاية العمق والدقة والتأثير، مع القطع بسلامته وصحته، بخلاف مسالك أهل الكلام، وهي وإن كان في بعضها نفع وحسن إلا أنها لا تعدل طريقة القرآن، كما أنها لا تخلو من مخالفات أو تأويلات تتبع عقيدة أصحابها، ولذا فإن مسلك القرآن وطريقته هي الأسلم والأعلى والأعلم.
- يجوز في أثناء الحوار والجدل مع المخالف التسليم له ببعض المقدمات الباطلة لقصد الوصول إلى حجة أخرى تكون أقوى في الحجة وأكثر ردعاً، وأدعى لإبطال تصوراته وعقيدته، وهذا ظاهر في جميع الآيات التي سبق ذكرها، فإنه سبحانه استعمل معهم أسلوب التنزل سواء في أن يكون معه إله آخر، أو شريك في خلقه وملكه، أو غير ذلك مما هو من خصائص الرب سبحانه، ثم يلزمهم بما يبطل عقيدتهم.
- تنوعَ الخطاب القرآني في محاجة المشركين ومجادلتهم في قضايا الألوهية، فقد يخاطبهم بما يلزمهم به في الدنيا من المشاهدات، كما في قوله تعالى: { لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ } (سورة الأنبياء: الآية ٢٢)، وقوله تعالى: { هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ } (لقمان: ١١)، وهذا أمر مشاهد محسوس بالنسبة لهم في أن السماوات والأرض لم تفسدا، وأن كل هذه المخلوقات من خلق الله بينما لم تخلق آلهتهم شيئاً، وقد يخاطبهم بما هو من أمور الغيب الأخروية، والتي سيتحققون منها ويرونها يوم القيامة كقوله تعالى: { لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا } (الأنبياء: ٩٩)، وهو إخبار عن حالهم وحال آلهتهم يوم القيامة، وهذا تنوعٌ بليغ في الخطاب القرآني، وله تأثير عميق في نفوس المخاطبين وعقولهم.

الخاتمة

الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين نبينا نحمد وعلى آله وصحبة أفضل الصلاة وأزكى التسليم.. أما بعد:

فالحمد لله الذي أعانني إتمام هذا البحث، وقد كان من أهم النتائج التي توصلت إليها:

- ظهر أسلوب التنزل في إثبات الألوهية لله تعالى في خمس آيات من القرآن الكريم، تثبت للمنكرين قديماً وحديثاً بطلان ادعاءهم آلهة غير الله، أو قدرتها على الإحياء والإماتة والنفع والضر، أو تسيير الكون، فضلاً عن عدم قدرتهم على نفع أنفسهم أولاً.
- دراسة أسلوب التّنزل كفيل بالرد على المشككين في قضايا التوحيد، وغيرها من القضايا من باب أولى.
- مما يعين على استنباط الآيات الوارد فيها أسلوب التنزل في القرآن الكريم ، النظر في آيات الحوار والجدل، واستنباط هذا الأسلوب عن طريق الشرط أو الافتراض، فبه نستطيع معرفة أسلوب التنزل، فعلى سبيل المثال لا الحصر، قوله تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} [سورة الأنبياء، الآية:٢٢] عند تحليل أسلوب التنزل في الآية نقول: (على فرض أن هناك إلهين لفسدت السماوات والأرض) وهكذا.

ومن أهم التوصيات:

١- دراسة أسلوب التنزل في القرآن الكريم دراسة بلاغية لغوية، ففيها فوائد جمة، وتعين على بيان الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم.

٢- الاستفادة من أسلوب التّنزل في الحوار مع الخصوم، ومن حاد عن الصواب، وأصحاب الفكر الضال، وفي المناظرات، لإحقاق الحق.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

al8ran alkrym.

أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق وتخريج: يوسف علي بديوي، تقديم ومراجعة: محيي الدين ديب مستو، (بيروت: دار الكلم الطيب،١٤١٩ هـ).

abo albrkat 3bd allh bn a7md bn m7mod 7afz aldyn alnsfy ،tfsyr alnsfy = mdark altnzylw78a28 altaoyl ،t78y8wt5ryg: yosf 3ly bdyoy ،t8dymwmrag3a: m7yy aldyn dyb msto ،(byrot: dar alklm al6yb،1419 h-).

أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي المخزومي، تفسير مجاهد، تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل، (مصر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، ١٤١٠ هـ).

abo al7gag mgahd bn gbr altab3y almky alm5zomy ،tfsyr mgahd ، t78y8: m7md 3bd alslam abo alnyl ،(msr: dar alfkr al eslamy al7dytha ،1410 h-).

أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، (بيروت: دار القلم، ١٤١٥ هـ).

abo al7sn 3ly bn a7md bn m7md bn 3ly aloa7dy ،alogyz fy tfsyr alktab al3zyz ،t78y8: sfoan 3dnan daoody ،(byrot: dar al8lm ، 1415 h-).

أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، أحمد محمد صيرة، أحمد الجمل، عبد الرحمن عويس، تقديم وتقريظ: عبد الحي الفرماوي، (بيروت: دار الكتب العلمية،١٤١٥ هـ).

abo al7sn 3ly bn a7md bn m7md bn 3ly aloa7dy ،alosy6 fy tfsyr al8ran almgyd ،t78y8wt3ly8: 3adl a7md 3bd almogod ،3ly

m7md m3od ،a7md m7md syra ،a7md algml ،3bd alr7mn 3oys ،t8dymwt8ryz: 3bd al7y alfrmaoy ،(byrot: dar alktb al3lmya ،1415 h-).

أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المخصص، تحقيق: خليل إبراهم جفال، (بيروت: دار إحياء التراث: ١٤١٧هـ).

abo al7sn 3ly bn esma3yl bn sydh almrsy ،alm5ss ،t78y8: 5lyl ebrahm gfal ،(byrot: dar e7ya2 altrath: 1417h-).

أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تفسير الماوردي = النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (بيروت: دار الكتب العلمية ، ت.د).

abo al7sn 3ly bn m7md bn 7byb almaordy ،tfsyr almaordy = alnktwal3yon ،t78y8: alsyd abn 3bd alm8sod bn 3bd alr7ym ، (byrot: dar alktb al3lmya ،t.d).

أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، (بيروت: دار إحياء التراث ، ١٤٢٣ هـ).

abo al7sn m8atl bn slyman bn bshyr alazdy albl5y ،tfsyr m8atl bn slyman ،t78y8: 3bd allh m7mod sh7ath ،(byrot: dar e7ya2 altrath ،1423 h-).

أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ط.د (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ت.د).

abo als3od al3mady m7md bn m7md bn ms6fy ،tfsyr aby als3od = ershad al38l alslym ely mzaya alktab alkrym ،6.d (byrot: dar e7ya2 altrath al3rby ،t.d).

أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ط.د (بيروت: المكتبة العلمية ، ت.د).

abo al3bas a7md bn m7md bn 3ly alfyomy al7moy ،almsba7 almnyr fy ghryb alshr7 alkbyr ،6.d (byrot: almktba al3lmya ، t.d).

أبـو الفـداء إسـماعيل بـن عمـر بـن كثيـر القرشـي الدمشـقي، تفسـير القـرآن العظـيم= تفسـير ابـن كثيـر، تحقيـق: محمـد حسـين شـمس الـدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ).

abo alfda2 esma3yl bn 3mr bn kthyr al8rshy aldmsh8y ،tfsyr al8ran al3zym= tfsyr abn kthyr ،t78y8: m7md 7syn shms aldyn ، (byrot: dar alktb al3lmya ،1419h-).

أبـو الفيض محمّد بـن محمّد ، مرتضـى الزَّبيـدي، تـاج العـروس مـن جـواهر القـاموس، تحقيـق: مجموعـة مـن المحققـين، ط.د (ب.د: دار الهدايـة، ت.د).

abo alfyd m7mّd bn m7mّd ،mrtdy alzّbydy ،tag al3ros mn goahr al8amos ،t78y8: mgmo3a mn alm788yn ،6.d (b.d: dar alhdaya ،t.d).

أبو القاسم إسماعيل بن عباد الطالقاني، الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة، [بدون بيانات نشر].

abo al8asm esma3yl bn 3bad al6al8any ،alsa7b bn 3bad ،alm7y6 fy allgha ،[bdon byanat nshr].

أبـو القاسـم محمـود بـن عمـرو بـن أحمـد، الزمخشـري، الكشـاف عـن حقـائق غوامض التنزيل، ط٣ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ هـ).

abo al8asm m7mod bn 3mro bn a7md ،alzm5shry ،alkshaf 3n 78a28 ghoamd altnzyl ،63 (byrot: dar alktab al3rby ،1407 h-).

أبـو الليـث نصـر بـن محمـد بـن أحمـد بـن إبـراهيم السـمرقندي، بحـر العلـوم، [بدون بيانات نشر].

abo allyth nsr bn m7md bn a7md bn ebrahym alsmr8ndy ،b7r al3lom ،
[bdon byanat nshr].

أبـو المظفـر منصـور بـن محمـد المـروزى السـمعاني، تفسـير القـرآن، تحقيـق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن غنيم، (الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ).

abo almzfr mnsor bn m7md almrozy alsm3any ،tfsyr al8ran ،t78y8: yasr bn ebrahymwghnym bn ghnym ،(alryad: dar alo6n ، 1418h-).

أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري الصنعاني، تفسير عبد الرزاق، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ).

abo bkr 3bd alrza8 bn hmam bn naf3 al7myry alsn3any ،tfsyr 3bd alrza8 ،drasawt78y8: d. m7mod m7md 3bdh ،(byrot: dar alktb al3lmya ،1419h-).

أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الفارسي الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: ياسين الأيوبي، (ب.د: المكتبة العصرية– الدار النموذجية، ت.د).

abo bkr 3bd al8ahr bn 3bd alr7mn alfarsy algrgany ،dla2l al e3gaz fy 3lm alm3any ،t78y8: yasyn alayoby ،(b.d: almktba al3srya- aldar alnmozgya ،t.d).

أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م).

abo bkr m7md bn al7sn bn dryd alazdy ،gmhra allgha ،t78y8: rmzy mnyr b3lbky ،(byrot: dar al3lm llmlayyn ،1987m).

أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الآملي الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (ب.د : مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ).

abo g3fr m7md bn gryr bn yzyd bn kthyr alamly al6bry ،gam3 albyan fy taoyl al8ran ،t78y8: a7md m7md shakr ،(b.d : m2ssa alrsala ،1420h-).

أبو حفص سراج الدين عمر بن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي محمد معوض، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ).

abo 7fs srag aldyn 3mr bn 3adl al7nbly ،allbab fy 3lom alktab ، t78y8: 3adl 3bd almogodw3ly m7md m3od ،(byrot: dar alktb al3lmya ،1419h-).

أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ).

abo zyd 3bd alr7mn bn m7md bn m5lof alth3alby ،algoahr al7san fy tfsyr al8ran ،t78y8: m7md 3ly m3odw3adl a7md 3bd almogod،(byrot: dar e7ya2 altrath al3rby ،1418h-).

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢ (القاهرة: دار الكتب المصرية: ١٣٨٤هـ).

abo 3bd allh m7md bn a7md bn aby bkr shms aldyn al8r6by ، algam3 la7kam al8ran = tfsyr al8r6by ،t78y8: a7md albrdonyw ebrahym a6fysh ،62 (al8ahra: dar alktb almsrya: 1384h-).

أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ط٣(بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).

abo 3bd allh m7md bn 3mr alrazy alml8b bf5r aldyn alrazy ،mfaty7 alghyb = altfsyr alkbyr ،63(byrot: dar e7ya2 altrath al3rby ، 1420h-).

أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).

abo m7md al7syn bn ms3od bn m7md bn alfra2 albghoy ،m3alm altnzyl fy tfsyr al8ran = tfsyr albghoy ،t78y8: 3bd alrza8 almhdy ،(byrot: dar e7ya2 altrath al3rby ،1420h-).

أبو محمد عبد الحق ابن عطية الأندلسي المحاربي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ هـ).

abo m7md 3bd al78 abn 36ya alandlsy alm7arby ،alm7rr alogyz fy tfsyr alktab al3zyz ،t78y8: 3bd alslam 3bd alshafy m7md ،(byrot: dar alktb al3lmya ،1422 h-).

أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧ هـ).

abo nsr esma3yl bn 7mad algohry alfaraby ،als7a7 tag allghaws7a7 al3rbya ،t78y8: a7md 3bd alghfor 36ar ،64 (byrot: dar al3lm llmlayyn ،1407 h-).

أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، ط.د (بيروت: المكتبة العصرية، ت.د).

a7md bn ebrahym bn ms6fy alhashmy ،goahr alblagha fy alm3anywalbyanwalbdy3 ،db6wtd8y8wtothy8: yosf alsmyly ، 6.d (byrot: almktba al3srya ،t.d).

أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، (ب.د: عالم الكتب، ١٤٢٩هـ).

a7md m5tar 3bd al7myd 3mr bmsa3da fry8 3ml ،m3gm allgha al3rbya alm3asra ،(b.d: 3alm alktb ،1429h-).

تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، ط٧ (بيروت: دار عالم الكتب، ١٤١٩هـ).

t8y aldyn abo al3bas a7md bn 3bd al7lym abn tymya al7rany ، a8tda2 alsra6 almst8ym lm5alfa as7ab alg7ym ،t78y8: nasr 3bd alkrym al38l ،67 (byrot: dar 3alm alktb ،1419h-).

جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار الكتاب العربي،١٤٢٢هـ).

gmal aldyn abo alfrg 3bd alr7mn algozy ،zad almsyr fy 3lm altfsyr ، t78y8: 3bd alrza8 almhdy ،(byrot: dar alktab al3rby ،1422h-).

شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج، (دبي: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم ،١٤٣٤ هـ).

shrf aldyn al7syn bn 3bd allh al6yby،fto7 alghyb fy alkshf 3n 8na3 alryb (7ashya al6yby 3la alkshaf) ،m8dma alt78y8: eyad m7md alghog ،(dby: ga2za dby aldolya ll8ran alkrym **1434**، h.).

شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، ط.د (القاهرة: مطبعة بولاق (الأميرية) ، ١٢٨٥ هـ).

shms aldyn ،m7md bn a7md al56yb alshrbyny ،alsrag almnyr fy al e3ana 3la m3rfa b3d m3any klam rbna al7kym al5byr ،6.d (al8ahra: m6b3a bola8 (alamyrya) ،1285 h-).

صدر الدين محمد بن علاء ، ابن أبي العز الحنفي الأذرعي الصالحي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: أحمد شاكر، (ب.د: مكتبة الرياض،١٤١٨هـ).

sdr aldyn m7md bn 3la2 ، abn aby al3z al7nfy alazr3y alsal7y ،shr7 al38yda al67aoya ،t78y8: a7md shakr ،(b.d: mktba alryad،1418h-).

عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تفسير السعدي= تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (ب.د: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ).

3bd alr7mn bn nasr bn 3bd allh als3dy ،tfsyr als3dy= tysyr alkrym alr7mn fy tfsyr klam almnan ،t78y8: 3bd alr7mn bn m3la alloy78 ،(b.d: m2ssa alrsala ،1420h-).

عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، (القاهرة: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت، ١٤١٠هـ).

3bd alr2of bn tag al3arfyn bn 3ly bn zyn al3abdyn almnaoy ،alto8yf 3la mhmat alt3aryf ،(al8ahra: 3alm alktb 38 3bd al5al8 throt ، 1410h-).

محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، ط.د (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤).

m7md al6ahr bn m7md bn 3ashor altonsy ،alt7ryrwaltnoyr = t7ryr alm3ny alsdydwtnoyr al38l algdyd mn tfsyr alktab almgyd ، 6.d (tons: aldar altonsya llnshr ،1984).

محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي الغرناطي، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، (بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٤١٦هـ).

m7md bn a7md abn gzy alklby alghrna6y ،altshyl l3lom altnzyl ، t78y8: aldktor 3bd allh al5aldy ،(byrot: shrka dar alar8m bn aby alar8m ،1416h-).

محمد بن خليل حسن هرّاس، شرح العقيدة الواسطية، ويليه ملحق الواسطية، ضبط نصه وخرَّج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف، ط٣ (الخبر: دار الهجرة للنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ).

m7md bn 5lyl 7sn hr̈as ،shr7 al38yda aloas6ya،wylyh ml78 aloas6ya ،db6 nshw5r̈g a7adythhwod3 alml78: 3loy bn 3bd al8adr als8af ،63 (al5br: dar alhgra llnshrwaltozy3 ،1415 h-).

محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فتح القدير، (دمشق دار ابن كثير،١٤١٤ هـ).

m7md bn 3ly bn m7md bn 3bd allh alshokany ،ft7 al8dyr ،(dmsh8 dar abn kthyr،1414 h-).

محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي، تفسير الإمام ابن عرفة، تحقيق: حسن المناعي، (تونس: مركز البحوث بالكلية الزيتونية ،١٩٨٦ م).

m7md bn m7md abn 3rfa alorghmy altonsy ،tfsyr al emam abn 3rfa ،t78y8: 7sn almna3y ،(tons: mrkz alb7oth balklya alzytonya ،1986 m).

محمد بن مكرم جمال الدين ابن منظور الرويفعى، لسان العرب، ط٣ (بيروت: صادر، ١٤١٤هـ).

m7md bn mkrm gmal aldyn abn mnzor alroyf3y ،lsan al3rb ،63 (byrot: sadr ،1414h-).

محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط٣ (ب.د: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ت.د) .

m7md 3bd al3zym alzٌّrٌ8any ،mnahl al3rfan fy 3lom al8ran ،63 (b.d: m6b3a 3ysy albaby al7lbywshrkah ،t.d) .

مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط.د (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ت.د).

mslm bn al7gag abo al7sn al8shyry alnysabory ،s7y7 mslm = almsnd als7y7 alm5tsr bn8l al3dl 3n al3dl ely rsol allh sly allh 3lyhwslm ،t78y8: m7md f2ad 3bd alba8y ،6.d (byrot: dar e7ya2 altrath al3rby ،t.d).

ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ).

nasr aldyn abo s3yd 3bd allh bn 3mr albydaoy ،anoar altnzylwasrar altaoyl ،t78y8: m7md 3bd alr7mn almr3shly ،(byrot: dar e7ya2 altrath al3rby ،1418h-).

نجم الدين أبو الربيع سليمان الطوفي الصرصري، الإشارات الإلهية إلي المباحث الأصولية، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ).

ngm aldyn abo alrby3 slyman al6ofy alsrsry ،al esharat al elhya ely almba7th alasolya ،t78y8: m7md 7sn m7md 7sn esma3yl ، (byrot: dar alktb al3lmya ،1426h-).

نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦ هـ).

nzam aldyn al7sn bn m7md bn 7syn alnysabory ،ghra2b al8ranwrgha2b alfr8an ،t78y8: alshy5 zkrya 3myrat ،(byrot: dar alktb al3lmya ،1416 h-).